

الشبكات الفكرية العابرة للحدود كتهديد للأمن المجتمعي: دراسة تحليلية

مقارنة Transnational Intellectual Communities and Societal Security: A Comparative Analytical Perspective



دوالة علي منير¹

¹مؤسسة الانتماء، مخبر البحوث والدراسات السياسية، جامعة الجزائر-3، الجزائر.

douala.alimounir@univ-alger3.dz

تاريخ الإرسال: 2025/09/21 تاريخ القبول: 2025/11/20

ملخص:

تتناول هذه الدراسة ظاهرة الشبكات الفكرية العابرة للحدود وتأثيرها المتزايد على الأمن المجتمعي العربي وتعد هذه الشبكات فواعل غير تقليدية تتجاوز سلطة الدولة الوطنية عبر بناء ولاءات مرتبطة بمرجعيات خارجية، مما يجعلها مصدراً لتهديدات رمزية وهوياتية معقدة. اعتمدت الدراسة منهجاً تحليلياً مقارناً يجمع بين المقاربات الواقعية والليبرالية والبنائية والنقدية، إلى جانب تحليل نماذج تطبيقية مثل الإخوان المسلمين، الشبكات السلفية، الشبكات الشيعية، النخب الفرنكوفونية، والحركة الصهيونية. وتظهر النتائج أن هذه الشبكات تسهم في تفكيك الهوية الوطنية، وإضعاف العقد الاجتماعي، والتغلغل داخل مؤسسات الدولة، مستفيدة من انتشار الفضاء الرقمي الذي يستخدمه نحو 70% من سكان المنطقة العربية. كما بينت الدراسة أن تأثير هذه الشبكات يتجاوز البعد الدعوي إلى التأثير البنوي في الاستقرار الاجتماعي والسياسي. وتقترح الدراسة جملة استجابات تشمل تعزيز المناعة الفكرية، وتطوير التعليم والإعلام، وترسيخ الهوية الوطنية، إلى جانب تعزيز التعاون العربي في الأمن الرقمي والثقافي، بما يضمن حماية التماسك المجتمعي في مواجهة التأثيرات العابرة للحدود. الكلمات المفتاحية: الشبكات الفكرية، الأمن المجتمعي، الولاء العابر للحدود الهوية الوطنية القوة الناعمة.

Abstract :

This study examines the phenomenon of **transnational intellectual networks** and their growing impact on **societal security in the Arab region**. These networks transcend the authority of the nation-state by cultivating loyalties tied to external ideological and cultural referents, making them a source of complex symbolic and identity-based threats. The study employs a **comparative analytical approach**, integrating realist, liberal, constructivist, and critical perspectives, alongside empirical cases such as the Muslim Brotherhood, Salafi networks, Shiite transnational structures, Francophone elites, and the Zionist movement.

The findings reveal that these networks contribute to **fragmenting national identity**, weakening the **social contract**, and infiltrating state institutions, while capitalizing on the widespread digital sphere—used by nearly **70% of the Arab population**—to reshape collective consciousness. Their impact extends beyond religious or cultural influence to structural effects on social and political stability.

The study proposes comprehensive responses centered on strengthening intellectual resilience, improving education and media systems, reinforcing national identity, and enhancing regional cooperation in digital and cultural security.

Key words: Transnational intellectual communities, societal security, cross-border loyalty, national identity, soft power.

* علي منير دوالة

المقدمة:

يشهد العالم المعاصر تحولات عميقة ومتسارعة نتيجة التفاعلات الجيوسياسية، والانفتاح الاقتصادي، والتطور الهائل في تكنولوجيا المعلومات والاتصال. وقد أدت هذه التحولات إلى إعادة تشكيل طبيعة النظام الدولي، وظهور أنماط جديدة من التهديدات الأمنية التي تتجاوز الأطر التقليدية للدولة الوطنية. فبينما كان الأمن في العقود الماضية يركز على مفاهيم الحماية العسكرية وردع العدوان الخارجي، انتقل التركيز اليوم نحو تهديدات ناعمة وغير تقليدية تستهدف المجتمع من الداخل عبر التأثير على منظومة القيم، والهوية الوطنية، والمشروعية السياسية، وبُنى التماسك الاجتماعي. (Buzan, 2022; Williams, 2023)

ومن بين أبرز هذه التهديدات برزت الشبكات الفكرية العابرة للحدود كفاعل جديد في الحقل الأمني والهوياتي. فهذه الشبكات—بجميع تنوعاتها الدينية، والمذهبية، والثقافية، والأيدولوجية—لم تعد مجرد مجموعات تتشارك أفكارًا أو مرجعيات مشتركة، بل أصبحت منظومات منظمة تمتلك القدرة على تجاوز الحدود السياسية للدولة، والتأثير في المجتمعات من خلال أدوات متشابهة تجمع بين القوة الرمزية، والتأثير المعرفي، والحضور الثقافي والإعلامي. وتظهر الأبحاث الحديثة أنّ هذه الشبكات تعتمد استراتيجيات مقصودة لإعادة توجيه الولاءات، وإعادة تشكيل أنماط الانتماء، بما يؤدي إلى تفكيك الفضاء الهوياتي للدول والمجتمعات (Mandaville, 2023; Roy, 2024).

وفي السياق العربي، تزداد خطورة هذه الظاهرة بشكل لافت. فالهشاشة المؤسسية، وضعف منظومات الحوكمة، وتفاقم الانقسامات الهوياتية بعد موجة الربيع العربي، جميعها عوامل وفّرت بيئة خصبة أمام الشبكات الفكرية العابرة للحدود لتوسيع نفوذها، وتكريس حضورها على حساب الدولة الوطنية. وإلى جانب ذلك، وظّفت قوى إقليمية ودولية هذه الشبكات كأدوات في صراعات النفوذ الجيوسياسي، أو كقنوات للقوة الناعمة التي تُعيد إنتاج صور جديدة من الهيمنة غير المباشرة داخل المجتمعات العربية (Nye, 2023; Al-Rashidi, 2024).

ولا تقتصر خطورة هذه الشبكات على قدرتها على نشر الأفكار أو التأثير في الرأي العام، بل تتجاوز ذلك إلى إعادة تشكيل الوعي الجمعي، وإضعاف العقد الاجتماعي، وخلق ولاءات موازية للولاء الوطني. فهي تعمل في فضاء مفتوح يتفاعل مع التحولات التكنولوجية التي سهّلت انتشار الأفكار عبر الوسائط الرقمية، ومنصات التواصل الاجتماعي، وشبكات التأثير العالمية. وقد سمح هذا الفضاء بتكوين "هويات شبكية" متعددة الطبقات، تتجاوز الحدود، وتُعيد توزيع القوة داخل المجتمعات، بما يؤثر مباشرة في الأمن المجتمعي.

وفي ظل هذه المعطيات، تصبح دراسة الشبكات الفكرية العابرة للحدود ضرورة معرفية وأمنية، خاصة في العالم العربي الذي يشهد تصاعدًا في أشكال التأثير الخارجي، وتناميًا في النزعات الهوياتية العابرة للدولة. ومن هنا تنطلق هذه الدراسة من الإشكالية التالية:

كيف تؤثر الشبكات الفكرية العابرة للحدود في الأمن المجتمعي للدول العربية؟

ويتفرّع عن هذه الإشكالية سؤالان محددان:

1. ما الآليات التي تعتمد عليها هذه الشبكات في إعادة تشكيل الهوية الوطنية وإضعاف العقد الاجتماعي؟
2. وكيف تتفاعل هذه الآليات مع التغيرات الجيوسياسية والتكنولوجية الراهنة لتوليد تهديدات مركبة للأمن المجتمعي العربي؟

تسعى هذه الدراسة إلى مقارنة الظاهرة من منظور تحليلي-مقارن، يربط بين تطور الشبكات الفكرية من جهة، والتحولات البنوية في المنطقة العربية من جهة أخرى، بهدف فهم طبيعة التهديد وحدوده، والكشف عن أهم العوامل التي تمكّن هذه الشبكات من تعزيز حضورها داخل المجال الاجتماعي للدول العربية.

أهداف الدراسة

وللإجابة عن الإشكالية المركزية، تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية والتحليلية، تتمثل في ما يلي:

1. تحليل الأطر النظرية المفسرة للشبكات الفكرية العابرة للحدود وعلاقتها بالأمن المجتمعي، مع إبراز الأسس المفاهيمية التي تركز عليها داخل مناهج العلاقات الدولية والدراسات الأمنية المعاصرة.
 2. دراسة نماذج تطبيقية بارزة في السياقين العربي والإقليمي والدولي، من أجل فهم ديناميات الشبكات الفكرية وأدوارها الممتدة خارج حدود الدولة.
 3. إبراز آليات التأثير التي تعتمد عليها هذه الشبكات في إعادة تشكيل الولاءات والهويات داخل المجتمع، مع التركيز على الأدوات الفكرية، الرمزية، الخطابية، والتنظيمية التي تستند إليها.
 4. صياغة استجابات عملية لتعزيز مناعة الأمن المجتمعي في مواجهة التحديات التي تفرضها الشبكات الفكرية العابرة للحدود، على المستويين الوطني والإقليمي.
- إن هذا البحث لا يقتصر على توصيف الظاهرة، بل يسعى إلى تقديم مقارنة تحليلية-مقارنة شاملة تُبرز تعقيداتها وأبعادها المتعددة، وتسهم في إثراء الأدبيات العربية الحديثة في مجال الأمن المجتمعي، من خلال الربط بين التحليل النظري والدراسة التطبيقية، وتقديم توصيات عملية قابلة للتنفيذ.

المنهجية المعتمدة في الدراسة

اعتمدت هذه الدراسة المنهج التحليلي المقارن (Comparative Analytical Method) بوصفه الإطار المنهجي الأنسب لفهم ظاهرة الشبكات الفكرية العابرة للحدود وتحليل تأثيرها في الأمن المجتمعي. ويتيح هذا المنهج الجمع بين التحليل النظري والمقارنة التطبيقية، من خلال دراسة نماذج متعددة من الشبكات الفكرية والدينية والثقافية، والكشف عن أنماط اشتغالها وآليات تأثيرها داخل المجتمع، وكيفية تجاوزها لحدود الدولة الوطنية. وتقوم المقارنة في هذه الدراسة على مستويين رئيسيين:

1. المستوى النظري: من خلال تحليل المفاهيم الأساسية المرتبطة بالشبكات الفكرية والأمن المجتمعي، ضمن المدارس الكبرى في العلاقات الدولية، ولا سيما الواقعية، الليبرالية، البنائية، والنقدية، وذلك لإبراز تفسيرات متنوعة لظاهرة التأثير العابر للحدود.
2. المستوى التطبيقي: عبر دراسة نماذج مختارة من الشبكات الفكرية في السياقات العربية والإقليمي والدولي، مثل:

○ شبكة الإخوان المسلمين

○ الشبكة السلفية

○ الشبكات الشيعية العابرة للحدود

○ النخب الفرنكوفونية

○ الحركة الصهيونية

كما توظف الدراسة أدوات التحليل البنوي والنصي لتحليل الخطاب الفكري والرمزي لهذه الشبكات، وتستند إلى مراجع أكاديمية حديثة (2021-2024) لتعزيز البناء النظري ودعم المقاربة المقارنة.

وتهدف المنهجية المعتمدة إلى الكشف عن كيفية انتقال الأفكار والولاءات عبر الحدود، وكيف تسهم هذه العمليات في إعادة تشكيل الأمن المجتمعي داخل الدول العربية، بما يسمح بتقديم مقترحات عملية لتعزيز مناعة الهوية الوطنية وصلابة المؤسسات.

المبحث الأول: الإطار النظري والمنهجي للشبكات الفكرية العابرة للحدود والأمن المجتمعي

تُعد الإشكالية النظرية نقطة انطلاق أساسية في دراسة التهديدات غير التقليدية للأمن المجتمعي، خصوصاً في ظل التحولات الجيوسياسية والرقمية التي أعادت تعريف مفهوم القوة وطبيعة التهديد في القرن الحادي والعشرين. فالظواهر العابرة للحدود — وفي مقدمتها الشبكات الفكرية — لم تعد تُفهم ضمن الأطر الكلاسيكية للدولة الوطنية، بل ضمن ديناميكيات جديدة تتجاوز الإقليم والحدود والسيادة، وتعيد تشكيل الوعي والهويات والانتماءات داخل المجتمع. (Buzan, 2022; Williams, 2023)

فالشبكات الفكرية العابرة للحدود ليست مجرد مجموعات رمزية أو ثقافية، بل منظومات ديناميكية تتفاعل فيها الأفكار، والرموز، والمصالح، والمرجعيات العابرة للسيادة، بما يُنتج ولاءات جديدة تتجاوز الانتماء الوطني، ويغيّر علاقة الفرد بالجماعة السياسية والدولة. ومع التطور الهائل في تكنولوجيا الاتصال، أصبحت هذه الشبكات تمتلك أدوات غير مسبقة لإحداث تأثير عميق في البنية الاجتماعية، يتجلى في إعادة تشكيل الهوية وتوجيه السلوك الجمعي عبر الفضاء الرقمي والإعلامي والمؤسسات التعليمية والدينية. (Appadurai, 2021; Castells, 2023).

وتكمن أهمية هذا المبحث في كونه يضع الأساس المفاهيمي والمنهجي لفهم الظاهرة المدروسة، من خلال تفكيك المفاهيم المركزية المرتبطة بها، وتحليلها ضمن الأطر النظرية الكبرى في العلاقات الدولية، ثم تبينة هذا التحليل في خصوصية الواقع العربي الذي يشهد تعاظم حضور الشبكات الفكرية في تشكيل المجال الاجتماعي والسياسي.

المطلب الأول: المفاهيم الأساسية

يُعد تحديد المفاهيم خطوة ضرورية لضبط الإطار النظري للبحث. وفي سياق هذه الدراسة، يبرز مفهومان رئيسيان: الشبكات الفكرية العابرة للحدود والأمن المجتمعي.

1- الشبكات الفكرية العابرة للحدود – المفهوم والبنية

تشير الشبكات الفكرية العابرة للحدود إلى منظومات من الأفراد والجماعات والمؤسسات التي تتشارك مرجعيات فكرية أو دينية أو أيديولوجية، وتمتلك القدرة على تجاوز الحدود السياسية للدولة الوطنية عبر أدوات تأثير رمزية وتنظيمية واتصالية. وهي تختلف عن "الجاليات" بمعناها التقليدي، لأن وجودها ليس قائماً على الهجرة أو الوجود المكاني، بل على الانتماء الشبكي والرباط الفكري الذي يتجاوز الجغرافيا والسيادة.

وقد أوضح Brubaker (2005) و Mandaville (2023) أن هذه الشبكات لا تقوم على البعد الديموغرافي للجماعة، بل على رأس مال رمزي يتمثل في الأفكار والمعايير والرموز، وهو ما يمنحها القدرة على التأثير في المجال الاجتماعي للدولة المضيفة دون الحاجة إلى وجود مادي.

وترى الأدبيات الحديثة أن الشبكات الفكرية تمثل شكلاً من الشبكات العابرة للسيادة (Trans-sovereign Networks) التي تسعى لإعادة تعريف السلطة والشرعية عبر:

- البعد الهوياتي: صياغة انتماء بديل يقوم على مرجعيات غير وطنية.
- البعد الاتصالي: بناء فضاءات تواصل رقمية تُشكّل مجتمعات افتراضية موازية.
- البعد الاستراتيجي: توظيفها كأدوات نفوذ في الصراعات الإقليمية والدولية.

أما Olivier Roy (2024) فيرى أن هذه الشبكات تنتج "هويات متحركة" تتجاوز الإقليم، وتجعل الولاء للأيديولوجيا أو المذهب أو المرجعية الثقافية أكثر رسوخاً من الولاء الوطني.

وتكمن خطورة هذه الشبكات في قدرتها على خلق ولاءات مزدوجة وتقويض الانتماء المشترك، وهو ما يجعلها تهديداً بنيوياً للأمن المجتمعي. (Mandaville, 2023; Al-Rashidi, 2024)

التمييز بين الجاليات الفكرية والشبكات الفكرية
رغم التقاطع بين المفهومين، إلا أن الفرق جوهري:

الجاليات الفكرية	الشبكات الفكرية
بُنى هوياتية وثقافية تتشارك أفكاراً	منظومات تنظيمية واتصالية تنقل الأفكار
ترتبط بالانتماء والهوية	ترتبط بالوظيفة والتنظيم
تمثل البعد الرمزي	تمثل البنية الفاعلة للأفكار

إذن:

كل شبكة فكرية قد تنتج جالية، لكن ليست كل جالية تمتلك شبكة تحويل وتأثير.

2- الأمن المجتمعي – المفهوم والتطور

يُعرّف الأمن المجتمعي بأنه قدرة المجتمع على حماية هويته، وقيمه، ونظامه الرمزي من التهديدات التي تستهدف تماسكه الداخلي (Buzan, Wæver & de Wilde, 1998).

ومع تطور العولمة الرقمية، توسع المفهوم ليشمل حماية بنية الوعي الجمعي في مواجهة التهديدات الناعمة التي تُعيد تشكيل القيم والهويات. (Buzan, 2022)

ويرى Williams (2023) أن التهديدات الجديدة تأتي من الفضاء الاجتماعي والثقافي أكثر من المجال العسكري، وأن الاختراق الفكري عبر الشبكات العابرة للحدود أصبح من أخطر صور التهديد للمجتمعات.

وفي السياق العربي، أوضحت Hashimi (2023) أن هشاشة الدولة وضعف الثقة المجتمعية يشكلان البيئة المثلى لظهور ولاءات بديلة تتجاوز الهوية الوطنية، وهو ما يجعل الأمن المجتمعي الركيزة الأولى للأمن الوطني.

3- أهمية الأمن المجتمعي في المنطقة العربية

تشهد المنطقة العربية تصاعداً ملحوظاً في توظيف الشبكات الفكرية داخل الصراعات الهوياتية والسياسية. فالأزمات الليبية والسورية والعراقية واللبنانية بيّنت قدرة هذه الشبكات على:

- استثمار الانقسامات المجتمعية
 - تأطير الولاءات البديلة
 - إحداث اختراقات رمزية في الوعي العام
 - توظيف الفراغات الأمنية لصالح مشاريع خارجية.
- وهذا ما يجعل دراسة هذه الظاهرة ضرورة استراتيجية للدول العربية.

المطلب الثاني: الأطر النظرية المفسرة للظاهرة

1- المقاربة الواقعية – الشبكات كأدوات نفوذ

ترى الواقعية أن الشبكات الفكرية ليست سوى أدوات في يد القوى الإقليمية والدولية تُستخدم لخلق نفوذ داخل الدول المنافسة. (Morgenthau, 2005; Waltz, 2010)

وتُعد أمثلة الدعم التركي لبعض الحركات الإسلامية أو الدعم الإيراني للشبكات الشيعية حالات واضحة لتوظيف الشبكات الفكرية كأدع استراتيجية في صراع القوة. (Mandaville, 2023)

2- المقاربة الليبرالية – ضعف المؤسسات كمدخل للاختراق

تربط الليبرالية بين انتشار الشبكات الفكرية وبين ضعف الشرعية السياسية والمؤسسات العامة. (Keohane, 1984; Fukuyama, 2022).

كلما كانت الدولة أقل كفاءة في الحكم الرشيد، أصبحت أكثر عرضة للاختراق الهوياتي.

3- المقاربة البنائية – إعادة تشكيل الهوية

تركز البنائية على الخطاب والرموز والهوية.

فالشبكات الفكرية تُعيد بناء سرديّة "من نحن" عبر الإعلام والخطاب الثقافي والديني. (Wendt, 1999)

ويرى Appadurai (2021) و Roy (2024) أن العولمة خلقت فضاءً هوياتيًا عابرًا يُمكن الشبكات من إعادة تشكيل الانتماءات بسهولة.

4- المقاربة النقدية – الهيمنة الفكرية وإنتاج التبعية

تعتبر النظرية النقدية أن الظاهرة انعكاس لنظام الهيمنة العالمي الذي يُعيد إنتاج التبعية عبر الأفكار والمعايير وليس عبر القوة العسكرية فقط. (Marcuse, 1964; Cox, 1981)

وتشير الدراسات الحديثة إلى أن الشبكات الفكرية تُستغل لإعادة تشكيل الوعي بما يخدم القوى المهيمنة. (Buzan, 2022; Williams, 2023).

5- التحليل النظري – مقارنة تكاملية

من خلال المقاربات الأربع، يمكن فهم الظاهرة كالتالي:

- الواقعية: أدوات نفوذ جيوسياسي
- الليبرالية: نتائج ضعف الدولة
- البنائية: فواعل تعيد تشكيل الهوية
- النقدية: آليات للهيمنة الفكرية العالمية

ولذلك، تتطلب دراسة الشبكات الفكرية مقارنة تكاملية تجمع بين الأمن السياسي والثقافي والاجتماعي.

المبحث الثاني: النماذج التطبيقية للجماليات الفكرية العابرة للحدود في المنطقة العربية

المبحث الثاني: النماذج التطبيقية للشبكات الفكرية العابرة للحدود في المنطقة العربية

(النسخة الجديدة المعززة بالتحليل)**

تمثل المنطقة العربية إحدى أكثر البيئات عرضة لاختراق الشبكات الفكرية العابرة للحدود، نظرًا لخصوصيتها الجيوسياسية، وتاريخها الديني والثقافي المتداخل، وكونها ساحة مفتوحة لصراعات النفوذ الإقليمي والدولي. وقد أدت التحولات السياسية ما بعد

2011 إلى تفكك منظومات الضبط التقليدي للدولة الوطنية، مما وقر فراغاً هوياتياً ومؤسسياً استغلته شبكات فكرية ودينية وثقافية لتوسيع نفوذها وترسيخ حضورها داخل المجال الاجتماعي العربي.

ولا تكمن خطورة هذه الشبكات في أطرها التنظيمية فقط، بل في قدرتها على إعادة تعريف الهوية والولاء عبر أدوات رمزية، ومعرفية، وخطابية، قادرة على إنتاج "مجتمعات موازية" داخل الدولة. ويهدف هذا المبحث إلى تحليل أبرز هذه النماذج في السياق العربي الراهن، من خلال دراسة بنيتها الفكرية والتنظيمية، وآليات تأثيرها، ومخرجاتها الأمنية.

المطلب الأول: النماذج الدينية-السياسية

أولاً: شبكة الإخوان المسلمين

تُعد شبكة الإخوان المسلمين — التي تأسست عام 1928 — من أقدم وأوسع الشبكات الفكرية العابرة للحدود في العالم العربي والإسلامي. وقد تحولت من حركة دعوية محلية إلى منظومة دولية تمتلك فروعاً ومؤسسات ممتدة في الشرق الأوسط، وشمال إفريقيا، وأوروبا.

1- البنية الفكرية والتنظيمية

اعتمدت الجماعة على نموذج هرمي قائم على مركزية "مكتب الإرشاد"، مع شبكات فرعية في دول متعددة. وقد مكّنها هذا النموذج من إعادة إنتاج فكرها عبر:

المؤسسات التعليمية، الجمعيات الخيرية القنوات الإعلامية الحضور الرقمي (Trager, 2016)

2- التحولات بعد 2013

أدى سقوط حكم الإخوان في مصر إلى تفكك هياكلها التقليدية، وانتقالها نحو شبكات لامركزية تركز على الخطاب العابر للحدود أكثر من الانضباط التنظيمي.

وبحسب (Cagaptay (2020، تشكلت "إخوانية جديدة" في أوروبا وشمال إفريقيا تركز على الولاء الرمزي لتركيا كمرجعية سياسية.

3- آليات تكوين الولاءات

وظفت الشبكة مجموعة من الأدوات ذات الطبيعة الرمزية والمؤسسية لتعزيز الانتماء، أبرزها:

التمويل والمنح التعليمية التركية، ارتباط الجمعيات بالدولة التركية (TIKA – Diyanet)، توظيف الإعلام الدعوي والسياسي (Yavuz, 2019)

4- الأثر الأمني

أدت هذه التحولات إلى نشوء ولاءات مزدوجة داخل المجتمعات العربية، وإلى خلق خطوط انقسام أيديولوجي واجتماعي تُضعف العقد الاجتماعي وتهدد الاستقرار. (Trager, 2016)

ثانياً: الحركة السلفية

تُعد الحركة السلفية نموذجاً يعتمد على المرجعية العقائدية الخالصة، حيث أسست السعودية منذ سبعينيات القرن الماضي شبكة واسعة من المؤسسات الدعوية والتعليمية لنشر السلفية الوهابية. (Commins, 2006)

1- آليات الانتشار

تمثلت أبرز الأدوات في:

دعم المراكز الدينية، تقديم المنح الدراسية، المطبوعات والنشرات الدينية، الدعاة المبتعثين

وقد نجحت هذه الأدوات في بناء حضور سلفي قوي في مصر، والمغرب العربي، ودول الساحل.

2- التأثير الاجتماعي

اصطدمت السلفية بالمذاهب المحلية (كالمالكية والصوفية)، ما أدى إلى ظهور توترات دينية وسجلات اجتماعية حادة (Khosrokhavar, 2005)

3- الأثر الأمني

أدى هذا الصدام إلى إعادة تشكيل الهويات الدينية على حساب المرجعية الوطنية، وإلى تفكك منظومة التدين المحلي، وهو ما اعتبرته الدراسات الحديثة مصدر تهديد مباشر للأمن المجتمعي (هاشمي، 2023).

ثالثاً: الشبكة الشيعية المرتبطة بإيران

تمثل الشبكة الشيعية نموذجاً يجمع بين العقيدة والمشروع السياسي والجيوستراتيجي، وتُعد من أقوى الشبكات العابرة للحدود منذ (Takeyh, 2009).

1- البنية الإقليمية

تشمل:

حزب الله (لبنان)

الحشد الشعبي (العراق)

الحوثيين (اليمن)

فصائل شيعية في سوريا

2- النموذج اللبناني

يُعد حزب الله نموذجاً مركزياً، إذ أنشأ شبكة مؤسسات تعليمية وصحية وخدمية جعلته "دولة داخل الدولة" (Norton, 2014).

3- الأثر الأمني

تعزيز الولاء المذهبي المرتبط بإيران

تحويل بعض الصراعات السياسية إلى نزاعات مسلحة

تقويض سلطة الدولة المركزية (بوزازي، 2023)

خلاصة النماذج الدينية-السياسية

نجحت هذه الشبكات — رغم اختلاف مرجعياتها — في اعتماد آليات مشتركة:

إعادة إنتاج الهوية، اختراق المجال التعليمي، توظيف المؤسسات الخيرية، استقطاب فئات اجتماعية واسعة، خلق ولاءات موازية.

النموذج	النشأة	آليات التأثير	نوع الخطاب	مستوى التهديد
الإخوان المسلمون	1928مصر	التعليم، الجمعيات، الإعلام، المنح	خطاب أممي-سياسي	مرتفع
الحركة السلفية	1970sالسعودية	مراكز دينية، منح، دعاة، مطبوعات	خطاب عقدي-فقهي	متوسط-مرتفع
الشبكة الشيعية	1979إيران	خدمات اجتماعية، تعبئة، تمويل، تسليح	خطاب مذهبي-سياسي	مرتفع جداً

الجدول 1: مقارنة بين النماذج الدينية-السياسية

المطلب الثاني: النماذج الثقافية والجيوسياسية

أولاً: الفرنكوفونية – نموذج النفوذ الثقافي

تمثل النخب الفرنكوفونية في المغرب العربي نموذجاً للشبكات التي تُوظف اللغة والثقافة كأداة قوة ناعمة. وقد بينَ Verschave (1998) أن الفرنكوفونية ليست مجرد لغة، بل منظومة نفوذ معرفي وثقافي.

1- آليات التأثير

التعليم باللغة الفرنسية، المنح الدراسية، المراكز الثقافية، الفضاء الأكاديمي الدولي

2- الأثر الأمني

تؤدي هذه الآليات إلى:

إضعاف الهوية الوطنية

تعزيز التبعية الثقافية

خلق نخبة ذات ولاء رمزي لفرنسا

ثانياً: الحركة الصهيونية – نموذج الهجين السياسي-الهوياتي

تُعد الحركة الصهيونية شبكة عالمية تمتلك بُنية فكرية ودينية وقومية متداخلة.

ويرتبط المشروع الصهيوني بإنشاء دولة إسرائيل فاعلاً مركزياً للجاليات اليهودية حول العالم (Herzl, 1988; Mearsheimer & Walt, 2007)

1- آليات التأثير

مؤسسات تعليمية عالمية، جماعات الضغط (AIPAC)، الإعلام الدولي، شبكات التمويل العالمية

2- الأثر الأمني

تُستخدم الجاليات اليهودية كأدوات نفوذ تُوجّه السياسات الدولية، ما يؤثر مباشرة في الأمن العربي والإقليمي.

النموذج	أدوات التأثير	المرجعية	الأثر الهوياتي
الفرنكوفونية	التعليم – المنح – الإعلام – مراكز ثقافية	لغوية-ثقافية	تبعية رمزية وإضعاف الهوية
الحركة الصهيونية	تعليم عالي – لوبيات – إعلام – تمويل	دينية-قومية-سياسية	خلق ولاءات خارجية

الجدول 2: مقارنة بين النماذج الثقافية والجيوسياسية

تحليل مقارن لآثار الشبكات الفكرية على الأمن المجتمعي

من خلال مقارنة النماذج، يتبين أن جميع الشبكات — رغم اختلاف مرجعياتها — تشترك في:

(1) البعد الهوياتي

إعادة تعريف الهوية الوطنية على أسس دينية أو لغوية أو مذهبية.

(2) البعد المؤسسي

اختراق المؤسسات أو بناء مؤسسات موازية تُضعف الدولة.

(3) البعد الاجتماعي

إنتاج ولاءات مزدوجة تهدد العقد الاجتماعي والسلام الأهلي.

وتُظهر هذه النتائج أن التهديد الأمني لهذه الشبكات رمزي بالدرجة الأولى، إذ يعمل على إعادة تشكيل الوعي الجمعي وتوجيهه وفق مرجعيات عابرة للسيادة.

المبحث الثالث : آليات تأثير الشبكات الفكرية العابرة للحدود على الأمن المجتمعي.

تُمثل دراسة آليات التأثير إحدى أهم مراحل تحليل الظواهر العابرة للحدود، لأن خطورة هذه الشبكات لا تكمن فقط في هياكلها التنظيمية أو انتشارها الإقليمي، بل في قدرتها على إعادة هندسة المجال الثقافي والهوياتي للمجتمع بوسائل ناعمة وبطيئة، لكنها عميقة الأثر.

ولا تعتمد الشبكات الفكرية على المواجهة العسكرية أو الصدام المباشر مع الدولة، بل على بناء فضاءات رمزية ومؤسسات موازية تعيد تشكيل الولاءات والانتماءات بطرق يصعب رصدها تقليدياً.

وتستند هذه الدراسة في تحليل الآليات إلى الأدبيات الحديثة في الأمن المجتمعي ودراسات العولمة والفضاءات العابرة للسيادة (Buzan, 2022; Williams, 2023; Mandaville, 2023)

وتنقسم آليات التأثير إلى مستويين رئيسيين:

(1) تفكيك الهوية الوطنية وإضعاف العقد الاجتماعي،

(2) اختراق مؤسسات الدولة وتقويض السلم الأهلي.

المطلب الأول: تفكيك الهوية الوطنية وإضعاف العقد الاجتماعي

أولاً: تفكيك الهوية الوطنية

تعمل الشبكات الفكرية العابرة للحدود على إعادة تعريف الهوية الوطنية عبر طرح بديل هوياتي يقوم على مرجعيات دينية أو مذهبية أو ثقافية تتجاوز حدود الدولة.

ويفسر (Benedict Anderson 2006) هذه العملية في إطار "الجماعات المتخيّلة"، حيث تُصنع هوية جماعية تعتمد على الرموز والخطابات المشتركة، وليس على الجغرافيا.

أما (Appadurai 2021) فيشير إلى أنّ الثورة الرقمية جعلت هذه الهويات "افتراضية" تتشكّل في فضاءات عابرة للسيادة.

1- أمثلة تطبيقية في السياق العربي

• الإخوان المسلمون: يطرحون مفهوم "الأمة الإسلامية" كإطار جامع يفوق الدولة الوطنية.

• الشبكات الشيعية: تربط الهوية الولائية بالمشروع الإيراني.

• النخب الفرنكوفونية: تعيد تشكيل الهوية الثقافية وفق النموذج الفرنسي.

2- أدوات تفكيك الهوية الوطنية

تعتمد الشبكات على آليات رمزية متدرجة، أبرزها:

• التعليم والإعلام: لتغيير منظومة الرموز والمرجعيات الثقافية. (Castells, 2023)

• الفضاء الرقمي: لبناء هويات شبكية تتخطى الانتماء المحلي.

• التمويل الثقافي الخارجي: لترسيخ شبكات نفوذ معرفي بديل.

3- النتيجة

تُنتج هذه الأدوات حالة "ازدواج هوياتي" تؤدي تدريجياً إلى:

• إضعاف الانتماء الوطني

• إعادة تعريف الذات الجمعية

• خلق مجتمع مواز بمرجعيات خارجية

وهو ما يشكل تهديدًا بنيويًا طويل المدى للأمن المجتمعي. (Buzan, 2022; Al-Rashidi, 2024)

ثانيًا: إضعاف العقد الاجتماعي

العقد الاجتماعي يمثل الإطار الرمزي للعلاقة بين الدولة والمواطنين.

لكن الشبكات الفكرية تعمل على إعادة توزيع الشرعية عبر تقديم خدمات بديلة تضعف اعتماد المواطن على الدولة.

1- مؤسسات بديلة تضعف الدولة

تشير دراسات Fukuyama (2022) و Williams (2023) إلى أن انهيار الثقة في الدولة يفتح المجال أمام جماعات تتولى:

- التعليم

- العمل الخيري

- الخدمات الاجتماعية

- المنصات الإعلامية

مثل نموذج حزب الله في لبنان الذي وقّربنية خدمية جعلت المواطن يعتمد عليه أكثر من الدولة. (Norton, 2014)

2- المالية الداخلية والولاء التنظيمي

نظام التمويل الذاتي (زكاة- تبرعات- اشتراكات) يخلق دائرة ولاء مغلقة تُضعف الصلة بالدولة وتعزز

- تراجع العقد الاجتماعي

- تنازع الشرعية بين الدولة والشبكة

- تفكك المؤسسات السيادية (Al-Rashidi, 2024)

المطلب الثاني: اختراق مؤسسات الدولة وتقويض السلم الأهلي

أولًا: اختراق مؤسسات الدولة

تسعى بعض الشبكات إلى النفاذ داخل مؤسسات الدولة عبر استراتيجيات طويلة المدى تهدف لتحويل النفوذ الثقافي إلى نفوذ

مؤسسي. (Mandaville, 2023)

1- آليات الاختراق

- الاستقطاب الأكاديمي: المنح التعليمية والتدريب الخارجي.

- التغلغل الإعلامي: إنشاء منصات بديلة.

- تحالفات مع النخب السياسية والاقتصادية: لضمان النفوذ داخل الدولة.

2- التركيز على "المؤسسات الحساسة"

تشير الأدبيات إلى أن الشبكات تستهدف ثلاثة قطاعات رئيسية:

- التعليم

- القضاء

- الإعلام (Yavuz, 2019; Trager, 2016)

3- مثال مدروس عالميًا

حركة فتح الله غولن في تركيا التي اخترقت القضاء والتعليم بشكل مكثف مما مكّنها من التأثير في قرارات الدولة. (Yavuz, 2019)

النتيجة

- خلق "دولة عميقة" داخل الدولة
- توجيه السياسات العامة وفق أجندة خارجية
- تقويض استقلالية السلطة الوطنية

ثانيًا: تقويض السلم الأهلي

تؤدي الشبكات الفكرية إلى توتير العلاقات المجتمعية عبر خطاب هوياتي تقسيمي، ما يجعلها محرّكًا رئيسيًا للنزاعات الأهلية.

1- دور الخطاب المذهبي والانقسام

تشير الدراسات (Takeyh, 2009; Haykel, 2021) إلى أن:

- العراق
- سوريا
- لبنان

شهدت تصاعدًا في النزاعات الأهلية نتيجة النشاط الهوياتي للشبكات السلفية والشيعة، حيث تحوّلت الخلافات الدينية إلى صراعات مسلحة.

2- تفسير نظري: الأمن السلبي

يُحلل Buzan (2022) الظاهرة باعتبارها تفكّكًا للأمن المجتمعي، إذ يتحول المجتمع إلى مجموعات ولاء جزئية تفقد القدرة على إنتاج هوية وطنية جامعة.

3- الخطاب الإقصائي

يسهم الخطاب الإقصائي الذي تتبناه بعض الشبكات في:

- تعميق الاستقطاب
- إضعاف الثقة بين مكونات المجتمع
- تهديد السلم الأهلي

4- رأي (Nye 2023)

يدعو إلى تعزيز "القوة الناعمة الإيجابية" للدولة:

أي التعليم والإعلام والثقافة الوطنية كوسائل تحصين ضد هذا النوع من التهديدات.

تحليل ختامي للآليات

يتضح من التحليل أن الشبكات الفكرية تؤثر عبر أربع مستويات متداخلة:

- 1- المستوى الرمزي: تفكيك الهوية الوطنية وإعادة إنتاج السرديات.
- 2- المستوى الاجتماعي: إضعاف العقد الاجتماعي وخلق ولاءات بديلة.
- 3- المستوى المؤسسي: اختراق مؤسسات الدولة وتقويض شرعية القرار الوطني.

4- المستوى السياسي-الأمني: تغذية الانقسامات وتحويلها إلى صراعات أهلية.

وبالتالي، فإن التهديد الذي تمثله هذه الشبكات شامل ومركّب ويمتد إلى جوهر الاستقرار المجتمعي والسياسي (Anderson, 2006; Trager, 2016; Cagaptay, 2020).

وتؤكد الأدبيات أن مواجهة هذه الظاهرة يجب أن تعتمد مقارنة تكاملية:

- تعليم
- ثقافة وطنية
- إعلام
- إصلاح مؤسساتي
- بناء ثقة بين الدولة والمجتمع

وهو ما يتوافق مع الاتجاهات الحديثة في الأمن المجتمعي (Buzan, 2022; Fukuyama, 2022; Nye, 2023)

المبحث الرابع: التحديات المعاصرة والاستجابات الممكنة للشبكات الفكرية العابرة للحدود

لقد بيّنت الباحثة السابقة أنّ الشبكات الفكرية العابرة للحدود لا تُعد ظاهرة عارضة أو ثانوية، بل تعبّر عن تحوّل هيكلي في طبيعة التهديدات التي تستهدف الأمن المجتمعي العربي. فالانتقال من منطق الصراع العسكري المباشر إلى الصراع الرمزي والمعرفي جعل هذه الشبكات تتحرك في فضاءات أقل قابلية للضبط الأمني التقليدي، وأكثر قدرة على التأثير في البنية العميقة للمجتمع، خاصة مع تعاظم دور الفضاء الرقمي والعولمة الثقافية.

وتشير تقارير دولية حديثة إلى أن التهديدات غير التقليدية أصبحت في صدارة اهتمامات الدول؛ إذ بيّن مؤشر الإرهاب العالمي 2023 أن طبيعة العنف باتت أكثر فتكاً وتعقيداً، وأن مناطق هشة — من ضمنها دول عربية — تُسجّل نسباً عالية من ضحايا الإرهاب، ما يعكس عمق الاختراق الذي تمارسه شبكات عابرة للحدود في البيئات الهشة سياسياً واجتماعياً. كما يُظهر مؤشر الجريمة المنظمة العالمية 2023 أن قدرات الدول على مقاومة الشبكات العبر-وطنية لا تنمو بالسرعة الكافية لمجاراة توسعها، وهو ما ينطبق بدرجات متفاوتة على عدد من الدول العربية.

في ضوء ذلك، لا يرتبط حجم التحدي فقط بقدرة هذه الشبكات على الانتشار، بل كذلك بمدى قدرة الدول والمجتمعات على

إنتاج مناعة فكرية ومؤسسية تمكّنها من التفاعل مع العولمة دون الذوبان فيها. (Buzan, 2022; Nye, 2023)

ويهدف هذا المبحث إلى تحليل أبرز التحديات المعاصرة التي تواجه الأمن المجتمعي العربي في ظل تمدّد هذه الشبكات، مع اقتراح استجابات وطنية وإقليمية ودولية ممكنة.

المطلب الأول: التحديات المعاصرة

1- التحدي الرقمي: الفضاء الافتراضي كجغرافيا بديلة للهوية

تمثّل الثورة الرقمية أحد أخطر مجالات تمدّد الشبكات الفكرية العابرة للحدود، إذ وفّرت لها جغرافيا بديلة للهوية لا تخضع لحدود سياسية.

يشير Castells (2023) إلى أنّ شبكات التواصل الاجتماعي أعادت تعريف مفهوم السلطة والمعنى، بحيث أصبح "من يمتلك التدفق المعلوماتي والرمزي يمتلك القدرة على تشكيل الوعي."

من الناحية العملية، يُظهر الواقع العربي معطيات مقلقة:

- نسب استخدام الإنترنت في كثير من الدول العربية تفوق 70% من السكان،
- ونسبة كبيرة من الشباب تقضي ساعات طويلة يوميًا على المنصات الرقمية،
- ما يجعل هذه الفضاءات المجال الأساسي لتشكّل الوعي لدى الأجيال الجديدة، لا المدرسة أو الأسرة.
- في هذا السياق، تمارس الشبكات الفكرية ما يمكن تسميته "الهندسة الرمزية للوعي" عبر:
- إنتاج محتوى أيديولوجي مكثف،
- استغلال خوارزميات المنصات التي تعزز "غرف الصدى" (Echo Chambers) "حيث لا يتعرض الفرد إلا للأفكار المؤيدة لقناعاته" (Sunstein, 2022)

- خلق مساحات مغلقة تُعيد تشكيل الانتماء والولاء بصورة تدريجية.
- تؤكد دراسات عربية حديثة (Hashimi, 2023; Al-Rashidi, 2024) أن شرائح واسعة من الشباب في المنطقة باتت تحمل ولاءات رقمية عابرة للحدود، تتفاعل أكثر مع محتوى أيديولوجي عالمي ومع "رموز رقمية" خارجية، مقارنة بتفاعلها مع الخطاب الوطني المحلي.

وهذا ما يجعل التحدي الرقمي ذا بُعدين متلازمين:

- أمني: بسبب توظيف هذه المنصات في التجنيد والتعبئة والتحريض.
- هوياتي: بسبب إعادة تشكيل الوعي على أساس مرجعيات غير وطنية.

2- التحدي الهوياتي: تفكك المرجعيات الثقافية الوطنية

يرى Fukuyama (2022) أن المجتمعات التي تفقد سرديتها الوطنية الجامعة تصبح أكثر عرضة للاختراق الهوياتي من قبل الفاعلين العابرين للحدود.

وفي السياق العربي، أدّى تراجع التعليم المدني، وضعف السياسات الثقافية، وانحسار الخطاب الوطني الجامع إلى فراغ رمزي استغلته الشبكات الفكرية لطرح بدائل هوياتية تقوم على:

- الأمة الدينية،
- الجماعة المذهبية،
- الانتماء اللغوي-الثقافي الخارجي،

بدل الانتماء الوطني المشترك.

تُبين دراسة Al-Rashidi (2024) أن هذا الفراغ أدى إلى نشوء "مناطق رمزية رمادية" تتنافس فيها الخطابات الوطنية مع الخطابات العابرة للحدود، دون أن يمتلك الخطاب الوطني قوة رمزية كافية للحسم، ما أنتج حالات انفصام هوياتي لدى قطاعات من الشباب، بين "المرجعية الوطنية" و"الهويات الفرعية العابرة للحدود".

هذه الديناميكية تُهدد الأمن المجتمعي في جذوره، لأنها تضرب:

- الإجماع على معنى "الوطن"،
- وشعور الانتماء المشترك،
- والأساس الرمزي للعقد الاجتماعي.

3- التحدي المؤسسي والسياسي: هشاشة الدولة في إدارة التنوع

تعاني كثير من الدول العربية من هشاشة مؤسساتية في إدارة التنوع الديني والثقافي والمذهبي. ففي ظل ضعف الشفافية، وتراجع المشاركة السياسية، وغياب العدالة في توزيع الفرص، تتحول مؤسسات الدولة إلى مجال تنازع بين الولاءات المتعددة، وهو ما تستثمره الشبكات الفكرية لتوسيع نفوذها داخل البيروقراطية والإدارة (Yavuz, 2019; Mandaville, 2023).

وتشير خبرات ميدانية إلى أن الأمننة المفرطة (Over-securitization) لهذه الظواهر — أي التعامل معها حصرياً بمنطق أمني قمعي — تؤدي إلى نتائج عكسية: إذ تتحول الانتماءات الفكرية إلى هويات مقاومة، ويُعاد تأطير الجماعة كضحية، ما يعزز من تماسكها الداخلي ويزيد من قدرتها على التعبئة. (Buzan, 2022)

بهذا المعنى، تواجه الدولة العربية تحدياً مضاعفاً:

- تهديداً خارجياً من شبكات عابرة للحدود،
- وتهديداً داخلياً من ضعف قدرتها على دمج مواطنيها في مشروع وطني جامع، عادل، ومقنع.

المطلب الثاني: الاستجابات الممكنة

1- الاستجابات الوطنية: بناء المناعة الفكرية من الداخل

أ. إصلاح المنظومة التعليمية والإعلامية

تُعد المدرسة ووسائل الإعلام مسرح المعركة الرئيس في مواجهة الشبكات الفكرية.

يرى (Gellner 1983) أن التعليم هو "آلة الدولة الحديثة لإنتاج الانتماء"، وبالتالي فإن أي خلل في المنظومة التعليمية يفتح المجال أمام شبكات موازية لإعادة تشكيل الهوية.

يمكن للدول العربية أن تتحرك في اتجاهين متكاملين:

• مراجعة المناهج التعليمية لإدماج:

- قيم المواطنة،
- التفكير النقدي،
- التربية الإعلامية (Media Literacy) ،

حتى لا يكون المتعلم ضحية سهلة للدعاية الرقمية.

- تحويل الخطاب الإعلامي من صيغة تعبئة شعاراتية إلى خطاب معرفي تفاعلي يربط الهوية الوطنية بسردية مقنعة، وبانفتاح واعٍ على العالم. (Nye, 2023)

ب. تعزيز الحوكمة والثقة المؤسسية

تُظهر أدبيات (Fukuyama 2022) أن انهيار الثقة في الدولة هو المدخل الرئيس لتمدد الفاعلين من خارجها؛ إذ يبحث المواطن عن بديل يوفر له العدالة، والكرامة، والخدمات، ولو خارج الإطار الوطني.

لذلك، تصبح السياسات التالية جزءاً من الأمن المجتمعي وليست فقط إصلاحات سياسية:

- مكافحة الفساد،
- تعزيز الشفافية،
- توسيع المشاركة السياسية،

- تحسين العدالة في توزيع الموارد.

كلما ارتفعت الثقة في الدولة، تضاعف هامش الحركة المتاح للشبكات الفكرية العابرة للحدود.

ج. إعادة تأطير الخطاب الديني الوطني

يدعو (Eickelman & Piscatori 2023) إلى بناء خطاب ديني وطني متوازن، يوفق بين ثوابت الهوية والانفتاح على العصر، ضمن مؤسسات دينية تحظى بشرعية معرفية واجتماعية داخل الدولة، بدل ترك المجال مفتوحاً للمرجعيات الخارجية. وقد قدّمت بعض الدول العربية (مثل المغرب والإمارات) نماذج لسياسات دينية رسمية تستند إلى:

- تأهيل الأئمة محلياً،
- ضبط الفتوى ضمن مؤسسات وطنية،
- إنتاج خطاب ديني يرسّخ الانتماء الوطني ويحارب التطرف في الوقت نفسه.

2- الاستجابات الإقليمية: نحو منظومة عربية للأمن المجتمعي

نظراً لأن الشبكات الفكرية ظاهرة عابرة للحدود بطبيعتها، فإن مواجهتها لا يمكن أن تكون وطنية فقط. تُشير أعمال (Buzan 2022) و (Williams 2023) إلى أهمية بناء ما يمكن تسميته بـ "مجمع الأمن المجتمعي الإقليمي (Regional Societal Security Complex)"، أي إطار تعاون إقليمي يعالج التهديدات الناعمة المشتركة. يمكن أن يتجسد ذلك في:

- تبادل المعلومات والخبرات حول أنشطة الشبكات الفكرية العابرة للحدود.
 - تنسيق السياسات التربوية والإعلامية لتعزيز الهوية العربية المشتركة إلى جانب الهويات الوطنية.
 - إنشاء مراكز أبحاث عربية متخصصة في تحليل الخطاب الرقمي العابر للحدود، وتقييم مخاطره على المدى الطويل.
- مثل هذه المبادرات تجعل المواجهة أكثر فاعلية، وتضيف بعداً وقائياً إلى السياسات الوطنية.

3- الاستجابات الدولية: ضبط الفضاء الرقمي والتمويل الخارجي

لم يعد ممكناً عزل الأمن المجتمعي عن الحوكمة العالمية للإنترنت والتمويل الدولي. يُحاجج (Sunstein 2022) بأن الخوارزميات أصبحت "فاعلاً سياسياً" من الدرجة الأولى، قادرة على توجيه الاهتمامات والرأي العام، ما يستدعي:

- تعاوناً دولياً في تنظيم منصات التواصل،
 - تشريعات تقلل من انتشار خطاب الكراهية والتطرف،
 - أدوات رقابية تحترم في الوقت نفسه الحريات الأساسية.
- من ناحية أخرى، فإن جزءاً مهماً من قوة الشبكات الفكرية ينبع من التمويل الخارجي. لذلك يصبح:
- تعزيز الشفافية في تدفق التمويل الديني والثقافي،
 - إخضاع الجمعيات ذات الارتباط الخارجي لرقابة قانونية واضحة،
 - جزءاً من حماية الأمن المجتمعي، دون الوقوع في فخ "شيطنة" العمل الأهلي المشروع.

وفي المقابل، يؤكد (Nye 2023) أن الدول تحتاج أيضاً إلى بناء تحالفات ثقافية إيجابية في الفضاء الدولي، لتقديم صورة متوازنة عن هوياتها الوطنية والدينية، بدل ترك الساحة لفاعلين معادين أو متطرفين يحتكرون تعريف المنطقة أمام العالم.

التحليل الختامي: نحو مقارنة شاملة للأمن المجتمعي

يمكن تلخيص منطق المواجهة في الانتقال من:

رد فعل أمني متأخر إلى فعل استباقي بنيوي يحمي المجتمع من الداخل.

فالمجتمع العربي يواجه اليوم تهديدًا مركبًا تتقاطع فيه:

- الهوية (من نحن؟)،
- المؤسسات (من نثق به؟)،
- المعلومة (من يحدد رؤيتنا للعالم؟).

وعليه، فإن مواجهة الشبكات الفكرية العابرة للحدود لا يمكن أن تُختزل في سياسات أمنية أو حملات خطابية ظرفية، بل تتطلب:

1. تحصينًا معرفيًا طويل المدى: عبر نشر التفكير النقدي، والتربية الإعلامية، وتجديد الخطاب الديني والثقافي.
 2. تمكينًا مؤسسيًا حقيقيًا: عبر بناء دولة قوية وعادلة، تحظى بثقة مواطنيها، وتستعيد احتكار الشرعية الرمزية والخدمية.
 3. انفتاحًا ثقافيًا واعيًا: يتفاعل مع العالم دون استلاب، ويجعل الهوية الوطنية قادرة على الاستيعاب لا الانغلاق.
- بهذه المقاربة التكاملية، يتحول الأمن المجتمعي من مجرد رد فعل على تهديد قائم، إلى منظومة استباقية لإنتاج الاستقرار وحماية الهويات الوطنية في عالم يتسم بتسارع العبور الفكري والثقافي عبر الحدود.

خاتمة:

تُظهر نتائج هذه الدراسة أنّ الشبكات الفكرية العابرة للحدود لم تعد مجرد كيانات ثقافية أو دينية منعزلة، بل أصبحت فواعل شبكية ذات تأثير متنامٍ في إعادة تشكيل البنى الاجتماعية والسياسية والثقافية داخل المجتمعات العربية. فقد مكّنها التطور الرقمي واتساع الفضاء الاتصالي من ممارسة نوع جديد من القوة الرمزية التي تتجاوز حدود الجغرافيا والسيادة، مستندةً إلى منظومات فكرية وأيديولوجية عابرة للحدود وإلى أدوات رقمية متقدمة أتاحت لها إعادة إنتاج نفسها داخل المجال العام بوتيرة متسارعة. ويؤكد ذلك أن 70% من سكان العالم العربي يستخدمون الإنترنت، وترتفع النسبة إلى 78% بين فئة الشباب (UNDP) 2022، بينما يعتمد 46% من العرب على وسائل التواصل الاجتماعي كمصدر رئيسي للمعلومات (Arabian Business)، 2023، وهو ما يُفسّر اتساع قدرة هذه الشبكات على التأثير في الوعي الجمعي.

وقد أظهر التحليل البنيوي للدراسة أنّ هذه الشبكات تنخرط في عملية عميقة لإعادة تشكيل الهوية الوطنية عبر تفكيك البنى الرمزية وإضعاف العقد الاجتماعي من خلال بناء سرديات بديلة للانتماء، وإعادة تعريف مفاهيم الشرعية والمقدس والمجتمع. وتبرز خطورة هذه العملية في كونها تُحدث تحولًا مستمرًا في بنية الشرعية الاجتماعية، بحيث يصبح الولاء للجماعة أو للمرجعية الخارجية أقوى من الانتماء الوطني، خصوصًا في سياقات هشاشة الدولة. ويؤكد ذلك ما تشير إليه تقارير دولية بأن أكثر من 52% من الهجمات السيبرانية في الشرق الأوسط ذات دوافع سياسية أو أيديولوجية (Microsoft Digital Defense Report)، 2024، ما يدل على توظيف كثيف للفضاء الرقمي في صناعة الولاءات العابرة للحدود.

كما بيّنت الدراسة أنّ تأثير الشبكات الفكرية يتم من خلال تفاعل ثلاثي الأبعاد:

1. رمزي-معرفي: حيث تتحكم في المعاني والرموز الثقافية والدينية، وتعيد تشكيل الخيال الجمعي (Anderson)، 2006؛

Appadurai، 2021

2. اجتماعي-تنظيمي: عبر خلق مؤسسات موازية في التعليم والعمل الخيري والإعلام، كما هو الحال في نموذج حزب الله الذي أسس منظومة خدمات منافسة للدولة (Norton)، 2014 ،
 3. مؤسسي-سياسي: من خلال التغلغل في مؤسسات الدولة وتوجيه السياسات والقرارات، خصوصًا في بيئات ضعف الحوكمة (Yavuz، 2019؛ Mandaville، 2023 ،
- ويُستنتج من ذلك أنّ التهديد الذي تمثله هذه الشبكات ليس تقليديًا أو عسكريًا، بل تهديد معرفي وهوياتي يقوم على إعادة هندسة الانتماء الاجتماعي، وتحويل المجال الاجتماعي نفسه إلى ساحة تنافس رمزي بين الدولة والشبكات الفكرية، بدل أن يكون إطارًا للوحدة الوطنية.
- وبناءً على ما سبق، يتضح أن مواجهة هذه الظاهرة لا يمكن أن تقتصر على السياسات الأمنية أو العسكرية، لأنها في جوهرها مواجهة فكرية وثقافية ومؤسسية. فالأمن المجتمعي بات عملية إنتاج مستمر للانتماء المشترك عبر التعليم والإعلام والثقافة والعدالة الاجتماعية. وتفرض هذه الحقيقة ضرورة تبني مقاربة شاملة تدمج بين الأبعاد الفكرية والسياسية والتربوية، بحيث يكون تعزيز الثقة بين الدولة والمجتمع حجر الزاوية في أي استراتيجية ناجحة. كما يتطلب الأمر تطوير خطاب ديني وثقافي وطني قادر على المنافسة، وتعزيز المناعة الفكرية لدى الشباب، خصوصًا في ظل التحولات الرقمية التي جعلت من الفضاء الافتراضي مصدرًا مركزيًا للهوية والانتماء.
- وتؤكد النتائج أنّ القيمة العلمية لهذه الدراسة تكمن في إعادة صياغة مفهوم الأمن المجتمعي ليشمل التهديدات الرمزية والهوياتية، وتقديم قراءة نقدية تربط بين الفكر والأمن والسياسة في سياق العولمة الثقافية. كما تكشف الدراسة أن تحصين المجتمع يبدأ من تحصين الوعي، وأن الأمن ليس غياب الخطر، بل القدرة على إدارة التعددية والاختلاف ضمن هوية جامعة مرنة وقادرة على استيعاب التنوع. ومن ثم، فإن مستقبل الاستقرار العربي لن يُبنى على الانغلاق أو المواجهة، بل على خلق توازن جديد بين الانتماء والانفتاح، وبين الأصالة والحداثة، وبين الهوية الوطنية والانتماء الإنساني.
- إن الدولة التي تنجح في تحويل هويتها إلى مشروع جماعي جذاب ومفتوح على العالم، دون أن تفقد جذورها، هي وحدها القادرة على مقاومة التهديدات الفكرية العابرة للحدود وصون أمنها المجتمعي في القرن الحادي والعشرين.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

- بوزازي، خليفة. (2023). الأمن المجتمعي مقارنة معرفية في ظل تطور الدراسات الأمنية. *المجلة الجزائرية للأمن والتنمية*، 12(2)، 15-38.
- زرداني، أمينة، & شوادرة، رضا. (2022). التعددية الإثنية وأزمة الهوية: حالة السودان. *المجلة الجزائرية للأمن الإنساني*، 4(1)، 85-97.
- كواشي، عتيقة. (2023). مفهوم الأمن المجتمعي على ضوء المقاربات النظرية. *المجلة الجزائرية للأمن والتنمية*، 12(2)، 39-58.
- هاشمي، مليكة. (2023). الأمن المجتمعي: دراسة في المفهوم، النظرية والتهديدات. *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، جامعة باتنة، 13(1)، 15-30.
- خشيب، جلال، & وشنان، آمال. (2021). الحركات الإسلامية وجدلية الديني والسياسي. *المعهد المصري للدراسات*، سلسلة دراسات سياسية.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

- Anderson, B. (2006). *Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism*. Verso.
- Appadurai, A. (2021). *Modernity at Large: Cultural Dimensions of Globalization*. University of Minnesota Press.
- Arabian Business. (2023). Arab internet usage reaches 348 million as digital transformation accelerates. Retrieved from <https://www.arabianbusiness.com>
- Buzan, B. (2022). *People, States and Fear: An Agenda for International Security Studies in the Post-Cold War Era*. ECPR Press.

- Buzan, B., Wæver, O., & de Wilde, J. (1998). *Security: A New Framework for Analysis*. Lynne Rienner Publishers.
- Cagaptay, S. (2020). *Erdogan's Empire: Turkey and the Politics of the Middle East*. I.B. Tauris.
- Castells, M. (2023). *Networks of Outrage and Hope: Social Movements in the Internet Age*. Polity Press.
- Commins, D. (2006). *The Wahhabi Mission and Saudi Arabia*. I.B. Tauris.
- Eickelman, D., & Piscatori, J. (2023). *Muslim Politics (New Edition)*. Princeton University Press.
- Fukuyama, F. (2022). *Liberalism and Its Discontents*. Farrar, Straus and Giroux.
- Gellner, E. (1983). *Nations and Nationalism*. Blackwell Publishing.
- Hashimi, M. (2023). *Societal Security in Arab States: Identity Challenges in the Digital Age*. Arab Center for Research.
- Herzl, T. (1988). *The Jewish State*. Dover Publications.
- ITU – International Telecommunication Union. (2024). *Internet Use in Arab States Report*. Retrieved from <https://www.itu.int>
- Khosrokhavar, F. (2005). *Suicide Bombers: Allah's New Martyrs*. Pluto Press.
- Mandaville, P. (2023). *Transnational Muslim Politics: Reimagining the Umma*. Routledge.
- Mearsheimer, J., & Walt, S. (2007). *The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy*. Farrar, Straus and Giroux.
- Microsoft Digital Defense Report. (2024). *Middle East Section: Cyber Threat Intelligence*. Microsoft Corporation.
- Norton, A. (2014). *Hezbollah: A Short History*. Princeton University Press.
- Nye, J. (2023). *Soft Power: The Means to Success in World Politics (Updated Edition)*. PublicAffairs.
- Pack, J. (2013). *The 2011 Libyan Uprisings and the Struggle for the Post-Qadhafi Future*. Palgrave Macmillan.
- Roy, O. (2024). *Globalized Islam: The Search for a New Ummah*. Columbia University Press.
- Sunstein, C. (2022). *#Republic: Divided Democracy in the Age of Social Media*. Princeton University Press.
- Takeyh, R. (2009). *Guardians of the Revolution: Iran and the World in the Age of the Ayatollahs*. Oxford University Press.
- Trager, E. (2016). *Arab Fall: How the Muslim Brotherhood Won and Lost Egypt in 891 Days*. Oxford University Press.
- UNDP – United Nations Development Programme. (2022). *Arab Youth Digital Report*. United Nations Publications.
- UNDP – Arab States. (2022). *Digital Development in the Arab Region*. Retrieved from <https://www.undp.org>
- Verschave, F. X. (1998). *La Françafrique: Le plus long scandale de la République*. Stock.
- Williams, P. (2023). *Security Studies: An Introduction (4th ed.)*. Routledge.
- Yavuz, H. (2019). *Toward an Islamic Enlightenment: The Gülen Movement*. Oxford University Press.
- Zerdani, A., & Chouaderah, M. (2022). *The Geopolitics of Zionist Networks in the Middle East*. Arab Strategic Review.